﴿سورة البروج﴾

وفيها أربع مسائل :

المسألة الأول : بم أقسم الله ﷻ وعلام أقسم فى هذه السورة ؟

والجواب : أقسم ربنا فى هذه السورة بثلاثة أشياء ألا وهى :

القسم الأول: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلبُرُوجِ﴾، قال ابن كثير: (يقسم الله ﷻ بالسماء وبروجها وهى النجوم العظام)[1]، واختار ابن جرير أن تكون البروج هى منازل الشمس والقمر فقال: (والسماء ذات منازل الشمس والقمر، وذلك أن البروج جمع برج، وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض مرتفعة ، ومن ذلك قول الله ﷻ **﴿وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾** وهي منازل مرتفعة عالية في السماء، وهي اثنا عشر برجا، فمسير القمر في كل برج منها يومان وثلث، فذلك ثمانية وعشرون منزلاً ثم يستتر ليلتين، ومسير الشمس في كل برج منها شهر) [2] ولعل ابن جرير يعنى بها مطالع الشمس والقمر، وقيل إنها الأقسام الاثنا عشر من الفلك كالحمل والثور إلى آخرها ....

وأقوال العلماء فى البروج كلها تدور حول هذا المعنى .

القسم الثانى: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ(٢)﴾ أشهر أقوال المفسرين فى بيان المراد باليوم الموعود أنه يوم القيامة، وهو اليوم العظيم الذى وعِد به الناس للقيام والسؤال بين يدى جبار السموات والأراضين.

القسم الثالث: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ(٣٢)﴾ تعددت أقوال المفسرين فى تحديد ما الشاهد والمشهود، أما (الشاهد) فله معنيان: الأول: قد يطلق على الحاضر، تقول: "شهد فلان الحرب" أى حضرها، والثاني: يطلق على الناظر أوالرائي، تقول مثلاً: "شهدت الحادثة "، أي: رأيتها.

فمن معاني الشهادة: الحضور، ومن معانيها: الرؤية، ومن هنا تعددت أقوال المفسرين فمن العلماء من قال: المراد بـــ (الشاهد): الحاضر، ومنهم من قال المراد بـــ (الشاهد): الرائي والناظر.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٨ / ٣٦٣ .
(٢) جامع البيان فى تأويل آى القرآن ٢٤ / ٣٣٢ .

فما الشاهد على تأويل الشاهد بالحاضر؟ للعلماء في ذلك أقوال:

القول الأول: أن (الشاهد): كل الخلائق، والمشهود: يوم القيامة، فالمعنى على هذا التأويل: أن الله يقسم بالناس أو بالخلائق التي ستشهد موقف الحساب، (فالشاهد) أي: الحاضر وهم الخلائق، و(المشهود): هو يوم القيامة.

القول الثاني: أن (الشاهد) هم الذين يصلون الجمع، يعني: هم الحضور الذين يحضرون صلاةالجمع،و(المشهود): هو يوم الجمعة.

القول الثالث: أن (الشاهد): هم الحجيج الذين يشهدون عرفات، و (المشهود): هو جبل عرفة.

القول الرابع: أن (الشاهد): هم الحجيج، والمشهود: يوم النحر.

فهذه بعض الأقوال في تفسير (الشاهد) بمعنى: الحاضر.

أما قول من ذهب إلى تفسير (الشاهد): بمعنى: الرائي والناظر، أو بمعنى أوسع: (الشاهد): الذي تقوم به الشهادة، وتثبت به الدعاوى، فقد تعددت أقوالهم على النحو التالي:

القول الأول: إن (الشاهد) أي: الشاهد على الخلائق والذي تقوم به الدعاوى، فـ (الشاهد) هو الله، و(المشهود): هو التوحيد، واستدل لهذا القول بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكبَرُ شَهَٰدَةٗ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَينِي وَبَينَكُم**﴾[1] .

والقول الثاني: إن الشاهد: هو محمد ﷺ، والمشهود: الخلائق أيضاً مشهود عليهم، والذي يشهد للقول الثاني قوله تعالى: ﴿**فَكَيفَ إِذَا جِئنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيد وَجِئنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدا (٤١)**﴾[2] .

القول الثالث: إن (الشاهد): هم الأنبياء عموماً، والمشهود عليهم: أممهم.

القول الرابع: إن (الشاهد): أمة محمد ﷺ، وتشهد على سائر الأمم؛ لقول النبي ﷺ: (أنتم شهداء الله في الأرض)، أو (يُدعَى نوح يوم القيامة،

(١) سورة الأنعام / من الآية ١٩.
(٢) سورة النساء / آية ٤١ .

فيقال: يا نوح! هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقول قومه: ما جاءنا من نذير، فيقال لنوح: من يشهد لك يا نوح؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته) .

هذه بعض الأقوال في تفسير (الشاهد) و(المشهود)، واختار قوم من أهل العلم العموم، فقالوا: كل ما يصلح أن يطلق عليه شاهد فهو شاهد، وكل ما يصلح أن يطلق عليه مشهود فهو مشهود، وهذا اختيار ابن جرير الطبري رحمه الله ﷻ، فعلى ذلك: يدخل في لفظ (الشاهد) الحجيج الذين يشهدون الحج، والمصلون الذين يشهدون الجمع، والمصلون الذين يشهدون الأعياد، ويدخل في لفظ (الشاهد) الشاهد الذي تثبت به الدعاوى، وعموم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأمة محمد ﷺ، وهذا المسلك يسلكه ابن جرير الطبري رحمه الله ﷻ في مواطن متعددة، فتجده دائماً يجنح إلى القول بالعموم وهو الأولى طالما أمكن الجمع بين الأقوال دون تعارض بينها، وهو ما ينبئك عن فصاحة القرآن واتساع معانيه .

لكن بعد استعراض أقوال العلماء المتنوعة فى الشاهد والمشهود ينبغي لك أن تعلم أن أعظم الشاهدين هو الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿**وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدا (٧٩)**﴾[1]، فالله ﷻ من تكلم عنده كمن أسرَّ، ومن ظهر كمن اختفى، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وطوبى لعبد خاف الله ﷻ واتقاه، وعلم أن الله ﷻ هو خير الشاهدين، فما أقفل على نفسه باباً إلا وتذكر عظمة الجبار ﷻ وأن الله ﷻ مطلع عليه، لا تخفى عليه من عباده خافية.

كل ما سبق هو ما أقسم به الله ﷻ، فما المُقسَم عليه ؟

من العلماء من قال: إن جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ**﴾ أى لُعِنوا، وأصحاب الأخدود هم الذين قتلوا المؤمنين، وحفروا لهم الأخاديد، وأحرقوهم فيها عقاباً لهم على إيمانهم كما سيأتى .

---

(١) سورة النساء / من الآية ٧٩ .

ومن المعلوم أن كلمة (القتل) كثيراً ما تأتى فى القرآن بمعنى (اللعن) لا بمعنى القتل المعروف، كما فى هذه الآية، ونظيره فى قوله تعالى: ﴿**قُتِلَ ٱلخَرَّٰصُونَ(١٠)**﴾[١] والخراصون هم الكذابون وهم ملعونون، ومثله قوله تعالى فى سورة (عبس) متحدثاً عن الإنسان الكافر الذى أشرك بالله ﷻ فاستحق أن يكون ملعوناً مطروداً من رحمته ﷻ: ﴿**قُتِلَ ٱلإِنسَٰنُ مَآ أَكفَرَهُۥ ١٧**﴾[٢] فالإنسان هنا هو الكافر فهو ملعون بسبب كفره؛ وعلى هذا القول بأن جواب القسم هو ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ**﴾ فيكون الله ﷻ قد أقسم على أن أصحاب الأخدود ملعونون.

بينما يرى بعض العلماء أن جواب القسم ليس هذا، بل جاء متأخراً فى أواخر السورة الكريمة، وهو قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢)**﴾ فيكون الله ﷻ قد أقسم بالسماء وبروجها، وباليوم الموعود، وبالشاهد والمشهود على أن بطشه ﷻ بطش شديد، فعقابه أليم وأخذته للظالمين مفزعة مرهبة ، وربنا الذى وصف نفسه بالغفور الودود هو الذى وصف بطشه بالشديد حتى يعيش المؤمن بين حالتى الخوف والرجاء فلا يجترئ على انتهاك حدود الله ولا يقنط من رحمته .

المسألة الثانية: ما قصة أصحاب الأخدود التى أوردتها السورة الكريمة ؟

الجواب : تعددت أقوال العلماء في أصحاب هذه القصة؛ ومن يكونون على أقوال لعلّ من أظهرها ما رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى من حديث صهيب بن سنان –رضي الله عنه–أن رسول الله – ﷺ– قال : (كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبُرقال للملك:"إني قد كبرت فابعث إليَّ غلاماً أعلمه السحر"، فبعث إليه غلاماً يُعلِّمُه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال:"إذا خشيت

(١) سورة الذاريات / آية ١٠ .
(٢) سورة عبس / آية ١٧ .

الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر"، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: "اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟" فأخذ حجراً فقال:"اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس"، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب:"أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستُبتَلى، فإن ابتُليت فلا تدل عليَّ" وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك – كان قد عمي– فأتاه بهدايا كثيرة فقال:"ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني"، فقال:" إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك"، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملكَ فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: "مَن رد عليك بصرك ؟" قال:" ربي"، قال: "ولك رب غيري ؟"، قال:"ربي وربك الله"، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام، فجئ بالغلام، فقال له الملك: "أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل" فقال: "إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله"، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجئ بالراهب فقيل له: "ارجع عن دينك"، فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جئ بجليس الملك فقيل له: "ارجع عن دينك" فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جئ بالغلام فقيل له:"ارجع عن دينك" فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: "اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه"، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: "اللهم اكفنيهم بما شئت"، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: "ما فعل أصحابك ؟" قال: "كفانيهم الله"، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: "اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه" فذهبوا به فقال: "اللهم اكفنيهم بما شئت"،

فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك:"ما فعل أصحابك ؟" قال: "كفانيهم الله"، فقال للملك: "إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به"، قال: "وما هو ؟" قال: "تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني" فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال:"باسم الله رب الغلام"، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: "آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام".

فأتى الملك فقيل له: "أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس"، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخُدَّت وأضرم النيران، وقال: "من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له اقتحم"، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام:"يا أمه اصبري، فإنك على الحق") [1].

فمن العلماء من اعتبر هذا الحديث الصحيح هو قصة أصحاب الأخدود التى تحدثت عنها سورة البروج، ومنهم من يرى أن العبرة بمضمون القصة لا في تحديد أشخاصها؛ ولذا أبهم القرآن الأسماء والأشخاص والزمان والمكان في هذه الحادثة الشنيعة التى قُتِل فيها أهل الإيمان حرقاً فى الأخاديد، فما دفعهم هذا العذاب الشديد وما عاينوه من الموت الأكيد إلى التخلى عن التمسك بدينهم والثبات عليه حتى الممات، وهى قصة متكررة متشابهة فى أحداثها فى كثير من الأزمنة والأمكنة؛ حين يتسلط الكفار المجرمون على بلاد المسلمين ويبذلون جهدهم لصد المسلمين عن دينهم، ودفعهم –بشتى صنوف الأذى والعذاب– للتخلى عن توحيدهم لله رب العالمين .

(١) صحيح مسلم ، ٢٢٩٩/٤ ، كتاب "الزهد والرقائق" ، ورقم الحديث: " ٣٠٠٥ " .

المسألة الثالثة: ما المراد بقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبدِئُ وَيُعِيدُ (١٣)﴾ ؟

الجواب: قال الشنقيطى: (قيل: يبدئ الخلق ويعيده، كالزرع والنبات والإنسان، بالمولد والموت، ثم بالبعث)[١]، وعلاقة ذلك بقصة أصحاب الأخدود أنها بمثابة تهديد من الله ﷻ للكفرة الظلمة أنهم سيعودون إلى اللهﷻ كما بدأهم، وفيها تصبير للمؤمنين المضطهدين أنهم سيرجعون إلى من بدأهم فيجازيهم أفضل جزاء على صبرهم .

وقيل فى معنى البدء والإعادة أن المقصود بهما بدء العذاب وإعادته على الكفار، قال ابن عباس: (إن أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فحماً ثم يعيدهم خلقاً جديداً ، فذاك هو المراد من قوله:﴿ **إِنَّهُۥ هُوَ يُبدِئُ وَيُعِيدُ (١٣)**﴾)[٢]، وفيه تهديد من الله ﷻ للظلمة والجبارين، وبيان أن عذاب الله ﷻ واقع بهم يوم الدين .

المسألة الرابعة: ما معنى اسم الله الغفور والودود ؟

الجواب: اسم الله (الغفور) على وزن فعول، وفعول احدى صيغ المبالغة الخمسة التى تدل على عظيم المغفرة وسعتها، قال الفخر الرازى: (قالت المعتزلة : هو الغفور لمن تاب ، وقال أصحابنا : إنه غفور مطلقاً لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِۦ وَيَغفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾[٣] ولأن غفران التائب واجب، وأداء الواجب لا يوجب التمدح، والآية مذكورة في معرض التمدح) [٤].

أما اسم الله (الودود) فمأخوذ من الود، قال الزجاج: (هذا يجوز أن يكون فعولاً بمعنى فاعل، ويجوز أن يكون فعولاً بمعنى مفعول) وعلى هذا فإذا كان الودود فعولاً بمعنى فاعل كان المعنى أن الله ﷻ يتودد إلى خلقه بإنعامه عليهم، ولطفه بهم، وتسيير مصالحهم، وقضاء حوائجهم، وإذا

---

(١) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ، ٨ / ٤٨٧ .
(٢) مفاتيح الغيب ١ / ٤٧١٥.
(٣) سورة النساء / من الآية ٤٨.
(٤) مفاتيح الغيب ١ / ٤٧١٥.

كان الودود فعولاً بمعنى مفعول فيكون المعنى أن عباده يحبونه ويترددون إليه ﷻلما يرونه من كريم عطائه الذى لا ينفد، ورحمته التى لا حدود لها، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّا لِّلَّهِۗ**﴾(١).

وفى السورة لطيفة يحسن الوقوف عليها:

ألا وهى العلاقة بين أول السورة وآخرها؛ فالمتدبر المتأمل فى بداية السورة التى أقسم الله ﷻ فيها بالسماء وبروجها وهى العالية المرتفعة فوق الناس لا يستطيع أحد منهم أن يصل إليها بيديه، ولا أن يُغيِّر فيها شيئاً مهما حاول أو أوتى من قوة، ثم تأتى خاتمة السورة لتتكلم عن القرآن المجيد وحفظه، فى قوله ﷻ: ﴿**بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ (٢١) فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۢ (٢٢)**﴾ ليجد بين افتتاح السورة بالقسم بالسماء وخاتمتها بذكر القرآن المجيد صلة بديعة وعلاقة وثيقة كما سيأتى إيضاحه :

السماء لا تستطيع يد بشر أن تصل إليها ولا أن تمسها بسوء، وكذا القرآن المجيد محفوظ من التحريف والضياع، والسماء مرفوعة فوق الرؤوس عالية عن الناس، وكذا القرآن الكريم فى علوه وارتفاعه، كما أن القرآن الكريم نزل من السماء، أضف إلى ذلك أن السماء فيها الشمس والقمر وفيهما النور أو انعكاسه الذى ينير للناس ظلمة ليلهم البهيم، وكذا القرآن العظيم الذى يضئ لهم طريقهم ويحفظهم من ظلمة الفتن وشرور الشيطان، كما أن الناس يهتدون بالنجوم فى السماء كى لا يضلوا الطريق، والقرآن المجيد كتاب هداية لهم يدلهم على طريق الراحة والرضوان والنعيم المقيم فى الجنة ... والله تعالى أعلى وأعلم .

---

(١) سورة البقرة / من الآية ١٦٥.